دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	جوانب تاريخية ومعمارية من إغرم بجماعة ايتزار في الأطلس المتوسط
المصدر:	دورية كان التاريخية
الناشر:	مؤسسة كان التاريخية
المؤلف الرئيسي:	عبيدى، سعيد
المجلد/العدد:	س13, ع48
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2020
الشهر:	يونيو
الصفحات:	57 - 64
رقم MD:	1150055
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الآثار، التراث المعماري، الأمازيغ، المغرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1150055

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

جوانب تاريخية ومعمارية من إغرم بجماعة ايتزار في الأطلس المتوسط

د. سعيد عبيدي
أستاذا بالتعليم الثانوي التأهيلي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
مكناس – المملكة المغربية

مُلَخّص

يمثل المعمار الأمازيغي بالجبال المغربية عامة وبالأطلس الكبير والمتوسط والصغير على نحو خاص صورة لنمط الحياة ومثالاً لتأقلم الإنسان مع محيطه الثقافي والطبيعي. ويتناول هذا المقال جوانب من تاريخ ومعمار إغرم ايتزر بالأطلس المتوسط، وذلك لإبراز إشكالية تأسيس هذا القصر الجبلي، وما عرفه من تطورات تاريخية إلى حدود الفترة الاستعمارية، وذلك لكشف طبيعة العلاقة التي ربطت ساكنته مع القبائل المجاورة من جهة والسلطة الحاكمة من جهة أخرى، بالإضافة إلى تسليط الضوء على نسيجه المعماري، وذلك من أجل التعريف بهذا النمط المعماري الذي تتسم به جبال الأطلس المغربي الكبير والمتوسط والصغير إلى جانب إكودار والمداشر وغيرها من أنماط العمارة الأمازيغية. ومن ثَمَّ محاولة الإجابة على سؤال مركزي: هل قصور الجبال من خلال نموذج إيتزار نسخة طبق الأصل لقصور الواحات أم أن لهذا القصر الجبلي خصوصيات تميزه؟ إن الهندسة المعمارية الدفاعية والمدنية والدينية لإغرم ايتزار التي أصبح معظمها في عالم الدوارس، تشهد على التاريخ العريق للمنطقة وتمثل الذاكرة الجماعية للساكنة المحلية التي يجب نقلها للأجيال الناشئة، لذلك وجب في الزمن الراهن الاستفادة من هذا الإرث والكشف عن أسراره النفيسة التي طالها الإهمال والنسيان، وذلك عبر حمايته وترميمه ورد الاعتبار إليه وتثمينه من خلال تحويل معالمه إلى مزارات يتعرف من خلالها الزائر على مكنونات التاريخ المحلي وما يتميز به من خصوصيات اجتماعية وتنظيمية ومعمارية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٣	أبريل	٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر:	٢٤	مايو	٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

إغرم؛ ايتزار؛ الأطلس المتوسط؛ المخزن؛ العمارة الأمازيغية؛ التراث

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2020.167388

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

سعيد عبيدي. "جوانب تاريخية ومعمارية من إغرم بجماعة ايتزار في الأطلس المتوسط".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون؛ يونيو ٢٠٢٠. ص ٥٧ – ٦٤.

Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: abidisaid.said@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يمثل المعمار الأمازيغي بالجبال المغربية عامة وبالأطلس الكبير والمتوسط والصغير على نحو خاص صورة لنمط الحياة ومثالاً لتأقلم الإنسان مع محيطه الثقافي والطبيعي، مما جعله يكتسب مهارات متعددة ساهمت في تدبير حياته الاقتصادية والاجتماعية، وكذا تشييد أشكال معمارية بهذه المجالات الجبلية التي كانت دائمة الاتصال مع السهل وفي علاقة مستمرة مع ساكنته، على عكس الكتابات الكولونيالية التي صورت لنا الجبال المغربية بكونها مجالات "للسيبة البنيوية" التي لا تنالها أحكام المخزن، فضلاً عن كونها مجالات وعرة معزولة تقطنها قبائل أمازيغية تعيش في صراع دائم ومستمر مع ساكنة السهول[١].

في هذا المنحى، تحاول هذه المقالة المعنونة بـ "جوانب تاريخية ومعمارية من إغرم بجماعة ايتزار بالأطلس المتوسط" تسليط الضوء على بعض الجوانب المرتبطة بالموقع الجغرافي لهذا المجال وما يتسم به من خصوصيات طبيعية، علاوة عن التطرق لأهم الأحداث التاريخية التي كان مسرحًا لها منذ تأسيسه وجعلته يكتسب مناعة وقوة تجلت بوضوح مع التسرب الاستعماري بالمنطقة الذي عمل على تكييف سياسته لمواجهة قوة الجبال ومناعتها[٢].

كما تروم هذه الورقة البحثية كشف العوامل المتحكمة في تشييد إغرم التابع لجماعة ايتزار بالأطلس المتوسط وظروف الاستقرار به وإبراز أهم المحطات التاريخية التي شهدها مجال تعميره، فضلاً عن كشف السمات المعمارية والخصائص العمرانية لإغرم، وذلك من أجل التعريف بهذا النمط المعماري الذي تتسم به جبال الأطلس المغربي الكبير والمتوسط والصغير إلى جانب إكودار والمداشر وغيرها من أنماط العمارة الأمازيغية، وإبراز مختلف مكوناته المتمثلة في الدور السكنية "تدارت" ومدخل القصر الرئيس، المسمى "باب نعلي"، وممراته، فضلاً عن الساحة العمومية "ترحبات" والأبراج الركنية والسور المحيط به، مع الإشارة كذلك إلى مواد البناء وتقنيات التشييد لهذا المعمار الأصيل. ثم أخيرًا رصد الوضعية الراهنة المتدهورة لهذا القصر وتتبع آليات تثمينه عبر صيانته وإنقاذه من الاندراس ورد الاعتبار إليه، وكذا جعله موردًا في التنمية إلى جانب التراث الطبيعي الذي تزخر به جماعة ايتزار القروية.

وقبل التطرق للمحاور المرتبطة بهذه المساهمة، تجب الإشارة إلى أن "إغرم" مصطلح أمازيغي واسع الانتشار في مجال جغرافي يشمل مناطق الأطلس والجنوب الشرقي[٣]، ويتخذ هذا المصطلح عند بعض القبائل صيغة المؤنث "تغرمت"، فيقصد به في هذه الحالة المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة والتي تتألف في بعض الأحيان من عدة طبقات يخصص بعضها لخزن المواد وغيرها، بينما نجد صيغة المذكر "إغرم" يرتبط معناها بالقرية المحصنة التي يقابلها اسم القصر الذي تم تشييده على طول أودية واحات زيز واغريس ودرعة وغيرها من الواحات التي تتميز تجمعاتها السكنية ببنيانها المتراص المتجمع المحصن بسور أو سورين لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيس كبير يقوم بحراسته حارس دائم[٤]. مما يبين الوظيفة الدفاعية لإغرم من أجل توفير الأمن والحماية للساكنة المستقرة فيه، دون إغفال الوظيفة الاستقرارية والمناخية التي اضطلع بها إغرم على غرار القصور الواحية بمنطقة تافيلالت وغيرها[٥].

أولاً: موقع إغرم بجماعة ايتزر

يقع إغرم؛ موضوع هذه الدراسة؛ بمركز جماعة ايتزر القروية التي تنتمي إداريًا إلى إقليم ميدلت بجهة درعة تافيلالت، ويحد هذه الجماعة شمالا جماعة تمحضيت وجنوبًا جماعة زايدة وجماعة تانوردي، وأما من جهة الشرق فيحدها جماعة ايت بن يعقوب وغربًا جماعة واد إفران (سوق الحد) وجماعة سيدي المخفي (سيدي عدي). وتبلغ مساحة جماعة ايتزر حوالي ٣٤٠ كيلومتر مربع[٦]، كما تبعد عن الطريق الوطنية رقم ١٣ الرابطة بين مدينتي مكناس والريصاني بخمسة كيلومترات بالمركز المعروف باسم "والغ"، وتبعد عن مدينة ميدلت بحوالي ٤٨ كلم عبر الطريقة الوطنية رقم ١٣، ويبعد مركز ايتزر عن مدينة خنيفرة التي كانت تنتمي لإقليمها قبل سنة ٢٠١٤ بحوالي ١٢٠ كلم. (الخريطة رقم ١).

وأما من الناحية القبلية فتعتبر منطقة ايتزار مهد قبيلة اركلاون[٧] ايت عبدي، حيث تحيط بها قبيلتي آيت علي اوغانم بقرية اكرسيف وآيت يحيى اوعبي ببومية جنوبا وقبيلة آيت يوسي ببولمان شمالاً، وقبيلتي زيان وآيت عرفة غربًا وشرقًا قبيلة آيت ايزداك بميدلت[٨].

ومن الناحية الطبيعية فيقع ايتزر بحوض ملوية العُليا في منطقة عبور؛ تربط بين مرتفعات الأطلس المتوسط شمالاً وجبال الأطلس الكبير جنوبًا[٩]؛ مكونة أراض ممتدة على سفوح جبال الأطلس المتوسط على علو ١٦٠٠م عن سطح البحر، وفي منطقة تجمع بين طبيعة غابوية مكونة من أشجار الأرز الذي يشغل مساحة تقدر بـ ٩٣١٣ هكتار والبلوط الذي تقدر مساحته ب ٥٥٥٦ هكتار وغيرهما من الأشجار في المرتفعات[١٠]، وأخرى

شبه صحراوية كلما ابتعدنا عن الغابات المشكلة لغطائها النباتي[11].

والجدير بالإشارة إلى أنه رغم كون المنطقة تتسم باختلاف درجة الحرارة نتيجة سيادة النطاق شبه الجاف، حيث تقل التساقطات المطرية عن ٣٠٠ ملم سنويًا[12]، فإن موضع ايتزر يتميز بوجود ثروة مائية تتمثل في وادي ايتزر الذي يصب بواد ملوية، والعيون مثل "عين باحماد"، فضلاً عن السد التلي بآيت الحاج[13].

ثانيًا: تسمية ايتزار

إن محاولة الوصول إلى الدلالة الطوبونيمية لتسمية إغرم "ايتزار" من خلال محاولة تأصيل هذا الاسم عبر النظر في رسم الكلمة وأصولها الاشتقاقية من الناحية اللغوية كما وردت في معاجم اللغة وقواميسها من جهة، وعبر مقاربة الجوانب الدلالية ذات الحمولة التاريخية والثقافية والاجتماعية من جهة ثانية سيسعف؛ ولا شك؛ في كشف بعض القضايا الملغزة المرتبطة بإشكالية تأسيس إغرم "ايتزار" بالأطلس المتوسط، وكذا العوامل الفاعلة في ظهوره وتداوله، وذلك لأن الأسماء الجغرافية لا توضع اعتباطًا، وإنما تترجم تفاعل الإنسان مع محيطه ليصبح الاسم بمثابة رمز لامتلاك المسمى وحيازته[14]. إضافة إلى أن أسماء الأماكن متصلة بالتعرف على تاريخ المجال المدروس وتطور هندسته المعمارية وثقافة ساكنته، حيث إن اسم المكان؛ في الغالب الأعم؛ لا يكون فعلاً فجائيًا أو اعتباطيًا، وإنما فعل قصدي يمتح جذوره من الثقافة المهيمنة على ساكنة ذلك المجال خلال فترة زمنية معينة[15].

في هذا السياق، تجب الإشارة إلى أن رسم كلمة ايتزار في الوثائق المخزنية كان يكتب "إدزر" كما يظهر من خلال ظهير سلطاني إلى سكان ايتزار سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام (١٨٥٩-١٨٧٣م)[16]، بينما في الوثائق المحلية العدلية أو غيرها من الوثائق التي بحوزة ساكنة ايتزار نجدها برسم "ايترز"، وذلك ما يتضح انطلاقا من وثيقة الصلح الذي تم "أمام قاضي فاس عبد الهادي الصقلي الحسني بين السيد مولاي عبد الرحمان عثمان وابن عمه سيدي محمد بن عبد الله" في ٠٦ رمضان عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)[17].

وقد أرجع أحد الباحثين هذا الاختلاف في كتابة الاسم إلى اللكنة والنطق المحلي لدى ساكنة ايتزار، حيث إن سكان ايتزار يتقنون اللغتين الأمازيغية والعربية، ولا غرو في ذلك، إذا علمنا أن مجموعة من أسماء الأماكن والأعلام وغيرها تكتب بشكل لغوي صحيح وتتم قراءتها من قبل العامة بشكل مختلف يؤدي في غالب الأحيان إلى رسمها من قبل المستمع الذي يروم كتابتها مرة ثانية بطريقة يشوبها لحن لغوي رغم قربها من الرسم الأول[18]. وفيما يتعلق بأصل تسمية ايتزار والدلالة التي تحملها فنجد أن هناك ثلاث روايات تتكامل في دلالاتها ومعانيها رغم اختلافها في أصل الكلمة وجذرها اللغوي.

الرواية الأولى نجدها عند الباحث محمد الإسماعيلي الذي يذكر أن سبب تسمية ايتزار كما ذكر الباحث محمد الاسماعيلي يرجع إلى تشييد الزاوية به "من طرف أهلها لتكون منارة تعج بشعاع العلم، يأتيها طلاب العلم من مناطق بعيدة، كالريصاني وقصر السوق وكلميمة وأرفود، اذكر منهم الإخوة: مولاي العربي العلوي رحمه الله والأخ سيدي علي بالفلاح بالرشيدية، والأخ مصدق مولاي العربي بميدلت، والسيد مولاي أحمد الرتبي، والسيد الفقيه أو مدان بميدلت رحمه الله، واللائحة طويلة. وذلك لتلقي العلم، وحفظ كتاب الله والتبرك بأوليائها الصالحين رحمة الله عليهم. ويحكى أنه مرت بالبلدة قافلة من المسافرين، وشاهدوا ولمسوا من أهلها طباعا ومعاملة طيبة وأخلاقًا جد عالية وعلامات ربانية قل نظيرها. وقال أحدهم لمرافقيه: "هذا ايتزار"، أي المكان الجدير بالزيارة. ومنذ ذلك العهد، بدأت تتوافد القبائل المجاورة على ايتزار لتدوين جميع عقودهم على سنة الله ورسوله. واشترت بعض القبائل قطعا أرضية اتخذتها مقبرة لها تيمنا وتبركا بأولياء ايتزار الصالحين أسكنهم الله فسيح جنانه"[19].

وأما الرواية الثانية فلا زالت متداولة لدى الساكنة المحلية، إذ تذكر الرواية الشفهية أن أصل رسم كلمة ايتزار وتسميتها يرجع إلى كلمة زيارة "أزور مكان ما" التي تنطق بالأمازيغية "أد زورغ "، واعتمادا على هذا الرسم الأمازيغي وضع البعض فرضية اشتقاق اسم "إدزر" من هذا الفعل، وفيما يخص الرواية الثالثة فتتمثل في تسمية سكان ايتزار من قبل بعض القبائل المجاورة بأهل الزيارة التي تعني بالأمازيغية "آيت أوزار" ومنها اشتقت تسمية ايتزار وأخذت معناها[20].

يتضح من خلال تجميع هذه الروايات والموازنة بينها هيمنة الحقل المعجمي المتحور حول ألفاظ الزيارة والمزار والزائر الذي يقصد مكانا محددا تحقيقا لأغراض ومقاصد متصلة بالتواصل والتثاقف وصلة الرحم واجتلاب البركة وطلب العلم والمعرفة، وهو ما تؤكده الوقائع التاريخية التي عرفتها منطقة ايتزار من خلال كونها شكلت محجا لمجموعة من الطلبة الوافدين من تافيلالت والأطلس الكبير لتلقي العلوم الدينية.

ثالثًا: التطور التاريخي لإغرم بايتزار

٣/١-التأسيس:

يواجه الباحث في تاريخ تأسيس إغرم ايتزار عدة صعوبات ترتبط جلها بغياب إشارات في المصادر التاريخية إلى الفترة الزمنية التي تكونت فيها النواة الأولى لهذا النمط من العمارة الأمازيغية، غير أن محاولة البحث في أصول ساكنة ايتزار والاعتماد على بعض النتف التي تقدمها الوثائق المحلية والمخزنية وبالاستناد إلى الرواية الشفهية رغم تضاربها، من شأنه أن يدلل بعض العقبات المرتبطة بإشكالية التأسيس.

في هذا الاتجاه، نجد بعض الروايات الشفوية ترجع بناء إغرم ايتزار إلى فترة حكم الدولة الإدريسية للمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، حيث تذكر هذه الروايات المتداولة محليا أن أجداد أهل ايتزار المنحدرين من جدهم عثمان، دفين بلدة آند، قدموا من الشرق إلى المغرب بعد مجيء ادريس الأول واستقراره بوليلي، فأخذ شرفاء ايتزار الأدارسة يتنقلون ويختفون في الهضاب والسهول حتى استقر المقام بجدهم عثمان بجبل يسمى جبل الغيم على قمم جبال العياشي على رأس وادي امدغرة المعروف بوادي زيز[٢١]. ومقابل هذه الروايات نجد رواية اخرى تذكر أن أهل آند أصلهم دغوغيون جاؤوا من منطقة الساقية الحمراء واستقروا في المنطقة[٢٢].

ورغم طابع الغرابة الذي تتسم به هذه المحكيات الشفوية، وكذا غياب ما يعززها في المصادر التاريخية، فإن ما يمكن الاستفادة منها هو أن أصل إغرم ايتزار يرجع إلى أحد الشرفاء الأدارسة المسمى عثمان بن الحسن من قبيلة سيدي بوموسى التي كانت تحصى ضمنها ساكنة منطقة ايتزار إلى حدود سنة ١٩٧١، وذلك في إطار مجموعة سيدي بوموسى[٢٣]، إذ إن هذا الأخير الذي ينتمي إلى سيدي حمزة المنتسب للقرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي يرجع له الفضل في بناء واحة تيشوت التي لا زالت تستقر بها إلى يومنا هذا قبيلة آيت تيشوت، وتقع هذه القرية في الشمال الغربي لايتزار[٢٤] وتمثل النواة الأولى للمنطقة، لذلك يمكن أن يصطلح عليها من المنظور التاريخي "ايتزار القديم" ومن المنظور الجغرافي "ايتزار العليا".

وإذا كان هناك اختلاف حول الفترة التاريخية التي تم خلالها تعمير مجال ايتزر والاستقرار وتشييد إغرم به من لدن الساكنة، فإنه لا اختلاف بين الرواية الشفوية والوقائع التاريخية من كون تأسيس إغرم بمركز ايتزار جاء بعد تأسيس قرية تيشوت التي تعتبر الموطن الأول لاستقرار أهل ايتزار بالمنطقة، وكذلك النواة الأصلية لإغرم الحالي، لذلك لا غرابة أن تنحدر منها قبيلة آيت سيدي بوموسى التي استقرت بايتزار فيما بعد.

وفيما يرتبط بعوامل تشييد إغرم ايتزر، فنجد أن العامل الطبيعي إلى جانب عوامل أخرى ساهمت بشكل كبير في تأسيس معمار إغرم سواء في نواته الأولى "تيشوت" أو في موضعه الحالي بهذا الموقع المتميز بتحصينه الطبيعي عند قدم جبال الأطلس المتوسط الجنوبي، وكذا في موضع يتسم بوفرة المياه الضرورية للحياة، إضافة إلى ما تزخر به المنطقة من أشجار كثيفة تم توظيفها من لدن السكان في تسقيف دورهم السكنية، واستعمال هذا الخشب كألواح للبناء بالطابية (التراب المكوك)، علاوة عن استخدام حطب الغابة للتدفئة خلال فصل الشتاء الذي يتميز بتساقطاته الثلجية.

ما يمكن استنتاجه في هذا السياق أن اختيار بناء وتأسيس إغرم ايتزار في هذا المجال الجغرافي جاء خلاصة لكل متطلبات الاستقرار وتلبية لحاجة ملحة من لدن الساكنة المحلية تتمثل في بناء مجتمع ذي وحدة تنظيمية وتضامنية تضم داخل أسوار إغرم عددا من الأسر تتفاعل اجتماعيا وسياسيا، وهي متطلبات أدركها الإنسان الذي يعيش في مثل هذه المجالات الجبلية المتسمة بقساوة ظروفها الطبيعية على غرار منطقة إيتزار.

٣/٢-جوانب من التطور التاريخي لإغرم ايتزار:

لا شك أن تصفح بعض المصنفات التاريخية وما تضمنته من نتف قليلة يبين أن هذا المجال قد حظي بمكانة متميزة من قبل السلطة المركزية، وخير دليل على ذلك تصنيف إغرم ايتزار في عهد السلطان المولى اسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧م) ضمن القصبات الاسماعيلية من لدن صاحب "كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر"[٢٥]، وذلك نقلا عن صاحب "البستان الظريف في دولة أولاد علي الشريف" الذي ذكر أن "عدد القلع التي بنى اسماعيل بالمغرب، ستا وسبعين قلعة"[٢٦].

بعد تأسيس إغرم ايتزار واعتماد ساكنته على النشاط الفلاحي أساسا، فإنه إذا كانت العلاقة مع السلطة المركزية تتسم بالتعاون والانفراج كما تشهد على ذلك مجموعة من الظهائر السلطانية والوثائق المخزنية التي من بينها الرسالة التي بعثها السلطان محمد الرابع (١٨٥٩-١٨٧٣م) إلى شرفاء قبيلة آيت سيدي بوموسى بايتزار وذلك بتاريخ ١٤ ربيع الأول عام ١٢٧٧هـ/ ٢٩ شتنبر ١٨٦٠[٢٧]، وكذا نسخة من ظهير السلطان محمد بن يوسف (١٩٢٧-١٩٦١م) إلى قبيلة آيت سيدي بوموسى بايتزار والذي تم تحريره سنة ١٩٤٧م[٢٨]، فإن علاقة سكان إغرم

ايتزار مع القبائل المجاورة أو الوافدة على المنطقة تميزت بالمد والجزر.

في هذا السياق، نجد أنه بعد توافد عدة قبائل أمازيغية وعربية على مجال ايتزار عرفت المنطقة مع بداية القرن السابع عشر الميلادي مجموعة من الصراعات مع قبائل أنصاف الرحال من أجل البحث عن مجالات جديدة للرعي قصد امتلاكها، وقد انتهت هذه النزاعات والتنقلات في نهاية القرن التاسع عشر بسيطرة قبيلة إركلاون التي تنتمي لبني مكيلد على المجال الذي يحيط بايتزار[٢٩].

والجدير بالإشارة إلى أن النزاعات والصراعات في هذا المجال لم تهدأ إلا بعد حركة السلطان الحسن الأول (١٨٧٣-١٨٩٤م) إلى منطقة ملوية العليا سنة ١٨٨٨م، والتي كان من بين أهدافها وضع حد للصراعات على المراعي التي تعرفها المنطقة، مما جعل السلطان يسيطر على إغرم ايتزار ويقوم بتعيين قائد عليها[٣٠]. وبالإضافة إلى تدخل السلطة المركزية لحل الصراعات على المجال الرعوي بالمنطقة في بعض الأحيان، فإن ساكنة ايتزار اعتمدت على إصلاح ذات البين لحل نزاعتهم الداخلية فيما بينهم أو الخارجية التي ترتبط بالقبائل المجاورة، كما تشير إلى ذلك وثيقة محلية ترجع لسنة ١٨٩٦م يتعلق موضوعها بالطريقة السلمية المتبعة من لدن الساكنة لتجاوز الخلاف مع قبيلة ايت عثمان[٣١].

وأما في فترة الحماية الفرنسية بالمغرب (١٩١٢-١٩٥٦م)، فإنه بعد سيطرة المستعمر على المنطقة ما بين ١٩١٢ و١٩١٤ أصبح ايتزار مركز عسكري وإداري يمكنها من مراقبة تحركات القبائل المجاورة والسيطرة عليها، وعلى المستوى الجهوي ظل ينتمي مركز ايتزار خلال هذه الفترة إداريا لإقليم مكناس، إذ كان بها خليفة ينوب عن الحاكم الفرنسي وهو السيد مولاي عبد الرحمان احيزون، وبعده تولى الخلافة الحاج سيدي محمد بن بوزيان، والذي كان يعمل تحت امرته قائدان وهما القائد احسين، الذي تولى خلافته ابنه القائد الهواري بقرية بولعجول، والقائد محمد أوميمون بقرية أكرسيف[٣٢].

وغني عن البيان أن المنطقة خلال الفترة الاستعمارية، وبعد نفي أحد زعماء الحركة الوطنية إليها، وهو محمد بن الحسن الوزاني (١٩١٠-١٩٧٨م)، شهد ايتزار حركة علمية خلال أربعينيات وخمسينات القرن العشرين خاصة بعد تأسيس مدرستين حرتين به هما مدرسة الفتح التي كان مديرها بعد التأسيس هو ادريس الطود وبلغ عدد تلاميذها ١١٠ تلميذا، وقد تم افتتاحها يوم ٢٦ مارس ١٩٤٧م بعد تأسيسها من قبل محمد بن علي ومحمد بن بوزيان وملاي عبد الرحمان نايت ايبا، ومدرسة أمير الأطلس التي كان مديرها محمد حجي وبلغ عدد التلاميذ بها حوالي ٨٠ تلميذا[٣٣].

رابعًا: المكونات المعمارية لاغرم ايتزار

يصنف إغرم ايتزر بحكم موقعه الجغرافي ضمن القصور الجبلية التي تتميز عن القصور السهلية باعتمادها على الموقع الوعر تحقيقا للأمن، وإذا كانت القصور الجبلية في الغالب الأعم قد شكلت موطنا للقبائل الرحل من أجل الحماية بهذا النوع من العمارة[٣٤]، فإن إغرم ايتزار رغم تشييده في موضع جبلي شكل استثناء عن القاعدة العامة التي اتسمت بها القصور الجبلية.

وفيما يخص المساحة التي كان يمتد عليها إغرم ايتزار الذي كان يتخذ شكلا هندسيا غير منتظم ليتكيف مع طبوغرافية الموقع الذي شيد عليه ، فقد كانت تقدر بأربعة هكتار وبكثافة سكانية تناهز حوالي ١٢٠٠ نسمة سنة ٢٠٠٣[٣٥]، وفيما يخص النسيج المعماري الذي كان يتكون منه إغرم ايتزار، فإنه على غرار باقي أصناف القصور السهلية والجبلية، ينقسم إلى ملكية مشتركة تتجلى في النظام الدفاعي لإغرم، والمتمثل في الأسوار والأبواب والأبراج، أو في الفضاءات الداخلية من قبيل الشارع الرئيسي والمسجد، فضلاً عن الملكية الخاصة ممثلة في الدور السكنية.

٤/١-النسيج المعماري الخاريجي لإغرم

(٤/١) ١-الأبواب

يتم الدخول إلى إغرم ايتزار من عدة أبواب اختلفت في نوعيتها ما بين أبواب منكسرة وأبواب مباشرة، كما اختلفت في تصميمها ما بين أبواب ذات عقود نصف دائرية وأخرى ذات شكل مستطيل، على غرار مداخل قصور الواحات المغربية، وذلك ما يتضح من صور الفترة الكولونيالية، وكذا من آثار الأبواب التي لا زالت شاخصة إلى الوقت الحالي. واستنادًا إلى الرواية الشفهية فقد كان إغرم ايتزار يتوفر على خمسة أبواب لكل واحد منها مصراع خشبي، ويعلوه برج لمراقبة تحركات كل المتربصين بالمجال الحيوي لإغرم أو من يريدون الهجوم على ساكنته، كما كان لكل برج فتحة ضيقة تطل على حقول المنطقة وتمكن الحارسان بالرج ليلا والمسلحان بالأسلحة التي كانت متواجدة حسب كل فترة تاريخية (التساعيه وبوحبه) والعصي أحيانا، من مراقبة كل التحركات. وأما أسماء هذه الأبواب الخمسة فهي: الباب نعلي، باب ايت لحسن أوحمو، باب نايت القاضي، الباب نيقبلين (أي قبالة)، القادمين من الصحراء، الباب نيحنضار (احنضور هو المنزل)[٣٦].

(١/٤) ٢-الأسوار والأبراج

كانت تحيط بإغرم ايتزار أسوار من جميع الجهات وتتخللها أبراج للمراقبة والحراسة من خلال توفرها على مرامي لتوجيه السهام أو النيران لكل من يروم الاقتراب من أسوار إغرم من الأعداء، واعتمادًا على بعض الأطلال المتبقية لأسوار إغرم ايتزار يتضح أنها كانت متوسطة الارتفاع، حيث يتراوح علوها ما بين ستة وأربعة أمتار حسب الواجهات الجغرافية، وأما سمك الأسوار فقد كان يتراوح ما بين متر واحد و٠٫٧٠ متر.

ونظرًا لاتخاذ إغرم ايتزار شكلاً هندسيًا غير منتظم فلم نتوصل لتحديد الأبعاد التي كانت تمتد عليها أسواره، وكذا عدد أبراج المراقبة التي كانت تدعم الأسوار وتتخذ معظمها شكلاً هندسيًا مستطيلاً خاصةً الأبراج الركنية التي لها شكل شبه منحرف. وأما مواد البناء التي شيدت بها فهي أساسا التراب المدكوك مع وضع أساس لها من الحجارة، غير أن وجه الاختلاف في هذه الطابية التي شيدت بها إغرم ايتزار مقارنة بالقصور الصحراوية هو وجود نوع من الحصى نتيجة اختلاف مكونات التربة بين المجال الواحي والمجال الجبلي.

٢/٤-النسيج المعماري الداخلي لإغرم

كان النسيج المعماري الداخلي لإغرم ايتزار يتوفر على عناصر معمارية متعددة تتجلى في المرافق الدينية ، وأهمها المسجد الذي اكتسب أهمية تاريخية، حيث كانت تقام فيه صلاة الجمعة ويحفظ فيه الطلبة القرآن ويتلقون فيه العلوم الدينية على يد فقهاء كبار لا زالت الذاكرة الجماعية بايتزار تتداول أسماء كثير منهم مولاي أحمد الفقيه خطاب الذي خلفه الفقيه سيدي عمر[٣٧]، ورغم الغزو الإسمنتي لإغرم ومحوه لآثار المسجد الأصلية عبر تشييد مسجد على أنقاضه بمواصفات هندسية حديثة فإن الرواية الشفهية تذكر أن مسجد إغرم كان عبارة عن تحفة معمارية مصممة بشكل هندسي بديع ومسقفة بالنوع الجيد من خشب أشجار الأرز الذي يتوفر بمجال إغرم.

ومن العناصر المعمارية الداخلية بإغرم نجد الشارع الرئيس للقصر والأزقة والدروب الضيقة إضافة إلى الساحة العامة "الرحبة" التي كانت توجد بعد الدخول لإغرم من الأبواب الرئيسية مباشرة. أما الدور السكنية بإغرم فقد عرفت تطورًا كبيرًا منذ تشييده في البداية إلى نهاية القرن العشرين، حيث بلغت حوالي ٤٠٠ منزل، وقد كانت هذه المنازل تضم كثافة سكانية مهمة وسطوحها متلاصقة بعضها ببعض، كما تشترك في العناصر المكونة لها مثل المدخل والسقيفة والحجرة الرئيسة وحجرات خاصة بالسكن وأخرى لتخزين المؤونة.

والجدير بالإشارة؛ أنه رغم التاريخ العريق لإيتزر والأدوار التاريخية التي اضطلعها بها إغرم منذ تشييده واستقرار الساكنة به، فإن معظم نسيجه العمراني في الزمن الراهن أصبح في عالم الدوارس بفعل اكتساح العمارة الاسمنتية لمجاله الداخلي، بالإضافة إلى عدم ترميم أبراجه وأسواره المحيطة به، وكذا الدور السكنية بعد انهيارها نظرًا للتساقطات الثلجية التي تعرفها المنطقة والأمطار الغزيرة خلال فصل الشتاء، وذلك ما تجلى في الأمطار العاصفية التي شهدتها المنطقة يوم السبت ٠٧ فبراير ٢٠٠٩، حيث أسفرت عن انهيار زقاقين سكنيين بإغرم[٣٨] ولم يتم اتخاذ أي خطوة بعدها لرد الاعتبار أو صيانة هذا المعمار الأصيل الذي تعتبر جل منازله آيلة للسقوط كما بينت ذلك دراسة مختصة من قبل مهندسين معماريين منذ سنة ٢٠٠٣[٣٩].

خَاتِمَةٌ

خلاصة القول إن الهندسة المعمارية الدفاعية والمدنية والدينية لإغرم ايتزار التي أصبح معظمها في عالم الدوارس، تشهد على التاريخ العريق للمنطقة وتمثل الذاكرة الجماعية للساكنة المحلية التي يجب نقلها للأجيال الناشئة، لذلك وجب في الزمن الراهن الاستفادة من هذا الإرث والكشف عن أسراره النفيسة التي طالها الإهمال والنسيان، وذلك عبر حمايته وترميمه ورد الاعتبار إليه وتثمينه من خلال تحويل معالمه إلى مزارات يتعرف من خلالها الزائر على مكنونات التاريخ المحلي وما يتميز به من خصوصيات اجتماعية وتنظيمية ومعمارية، وذلك لكونه يعتبر أرضية ثمينة لتحقيق التنمية المستدامة محليًا إلى جانب باقي مكونات التراث الطبيعي الذي تزخر به جماعة إيتزار وفي مقدمته أشجار الأرز وغيرها.

الملاحق

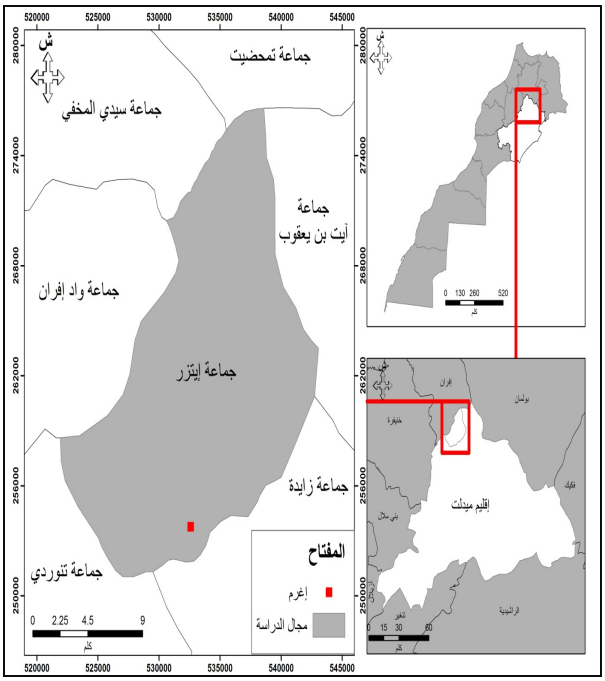

الخريطة رقم (١)

توطين مجال الدراسة وطنيًا وإقليميًا ومحليًا

الصورة رقم (١)

باب آيت لحسن أوحمو لإغرم ايتزار سنة ١٩١٨

https://www.delcampe.net/fr/collections, le 11/11/2019

الصورة رقم (٢)

جانب من أسوار إغرم ايتزار خلال الفترة الاستعمارية

https://www.delcampe.net/fr/collections, le 11/11/2019

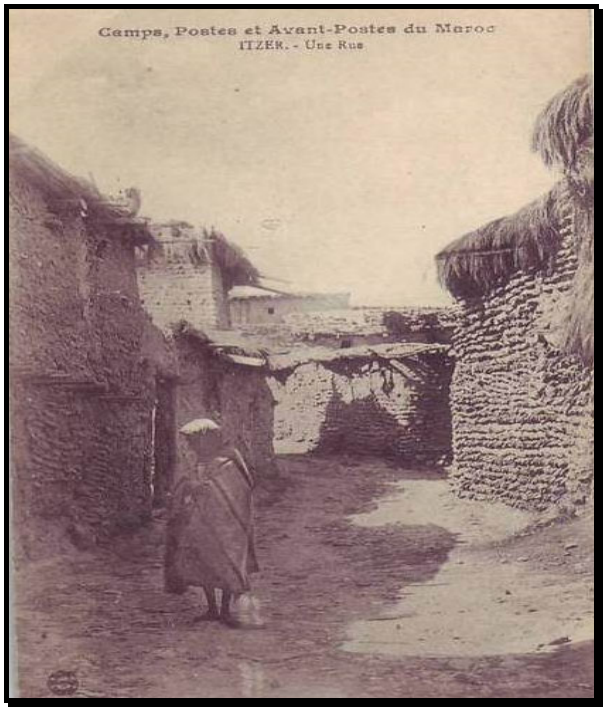

الصورة رقم(٣)

أحد أزقة إيتزار المكشوفة سنة ١٩١٥

https://www.delcampe.net/fr/collections, le 11/11/ 2019

الهَوامِشُ:

(١) يراجع: **ندوة الجبل في تاريخ المغرب**، تنسيق وتقديم محمد مزين وعبد الرحيم بنحادة، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، سايس-فاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٣، ١٩٩٤، ص. ٤.

(٢) المصطفى فنتير، **جبال الأطلس الكبير والحضور الاستعماري (١٩١٢-١٩١٤)**، ضمن ندوة الجبل في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، سايس-فاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٣، ١٩٩٤، ص. ١١٨.

(٣) عبد العزيز التوري، إغرم، **معلمة المغرب**، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩، ج. ٢، ص. ٥٣٤.

(٤) م. ن، ص. ٥٣٤.

(٥) بن محمد القسطاني، **الواحات المغربية قبل الاستعمار غريس نموذجًا**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم ٣، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٥، ص. ٣٥.

(٦) مشروع مخطط التنمية لجماعة ايتزر، مونوغرافية الجماعة، سنة ٢٠٠٢، ص. ١.

(٧) إركلاون: اسم تحمله قبيلتان أمازيغيتان من مجموعة آيت مكليد، تستوطن الأولى منطقة تمتد من منطقة ملوية العليا وعلى طول الواجهة الجنوبية من الأطلس المتوسط، وتقطن الثانية بالمناطق الممتدة من الجهة الشمالية لهذا الأخير إلى نهاية سهل أزرو المعروف بتيكريكرا. عبد العزيز التوري، إركلاون، معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩، ج. ٢، ص. ٣٢٦.

(٨) محمد الإسماعيلي، **ذكرياتي بايتزر**، دون تاريخ الطبع، ص. ٥.

(٩) عائشة البلغيتي العلوي، إتزر، **معلمة المغرب**، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩، ج. ١، ص. ١٣١.

(10) Etude d'aménagement de la forêt domaniale d'Itzer, 2002.

(١١) محمد الإسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٥.

(12) Raynal R., «La Terre et l'Homme en Haute Moulouya», B.E.S.M., 1960, Rabat, vol. XXIV, p. 281-346.

(١٣) مشروع مخطط التنمية لجماعة ايتزر، مونوغرافية الجماعة، سنة ٢٠٠٢، ص. ٢.

(١٤) إبراهيم بوطالب، **الصحراء في تاريخ المغرب**، مجلة دار النيابة، العدد السابع، السنة ٢، صيف ١٩٨٥، ص. ٣٢.

(١٥) محمد البركة، **الطوبونيمية والبحث التاريخي: محاولة في تحديد آليات البحث التاريخي**، مجلة كان التاريخية، العدد ٢٤، يونيو ٢٠١٤، ص. ص. ١٢١-١٢٥.

(١٦) ظهير سلطاني إلى ساكنة إيتزار عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، الوثيقة منشورة بتاريخ ٢٦ مارس ٢٠١٥ في صفحة ذاكرة ايتزار.

(١٧) وثيقة صلح بين السيد مولاي عبد الرحمان عثمان وابن عمه سيدي محمد بن عبد الله عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، انظر بوابة ذاكرة ايتزار بتاريخ ١١ أكتوبر ٢٠١٤.

(18) http://lmitz.blogspot.com, Kassemi Samir, La mémoire d'Itzer, jeudi 26 Mars 2015.

(١٩) محمد الإسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٦.

(20) http://lmitz.blogspot.com, Kassemi Samir, La mémoire d'Itzer, jeudi 26 Mars 2015.

(٢١) محمد الإسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٥.

(٢٢) م. ن، ص. ٥.

(٢٣) عائشة البلغيتي العلوي، **إتزر**، معلمة المغرب، م. س، ج. ١، ص. ١٣١.

(٢٤) م. ن، ص. ١٣١.

(٢٥) أحمد المنصوري، **كباء العنبر من عظماء زيان**، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرامة، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص. ١١٤.

(٢٦) أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني (إقليم الرشيدية)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص. ١٧١.

(٢٧) **ظهير سلطاني إلى ساكنة إيتزار عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م**، الوثيقة منشورة بتاريخ ٢٦ مارس ٢٠١٥ في بوابة ذاكرة ايتزار.

(٢٨) **ظهير السلطان محمد بن يوسف إلى قبيلة آيت سيدي بوموسى بايتزار سنة ١٩٤٧م**، انظر بوابة ذاكرة ايتزار الإلكترونية بتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠١٦.

(٢٩) عائشة البلغيتي العلوي، إتزر، **معلمة المغرب**، م. س، ج. ١، ص. ١٣١.

(٣٠) م. ن، ص. ١٣١.

(٣١) **وثيقة محلية ترجع لسنة ١٨٩٦**، الوثيقة منشورة بتاريخ ١٧ أكتوبر ٢٠١٤ في بوابة ذاكرة ايتزار.

(٣٢) محمد الإسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٥.

(٣٣) جون جيمس ديمس، **حركة المدارس الحرة بالمغرب (١٩١٩-١٩٧٠)**، ترجمة السعيد المعتصم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص. ص. ١٤٣-١٤٦.

(٣٤) أحمد مولود ولد أيّده الهلال، **مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاتة وودان وتيشيت وشنقيط**، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص. ٣٦.

(35) Etude relative à la stratégie d'intervention et les opportunités d'investissement dans le secteur de l'habitat dans le centre de : Itzer, Ministère délégué charge de habitat et de l'urbanisme, délégation provinciale de Khenifra, Aout 2003, p.p. 27-28.

(٣٦) محمد الإسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٦.

(٣٧) م. ن، ص. ١٧. محمد الاسماعيلي، ذكرياتي بايتزر، م. س، ص. ٦.

(٣٨) الكبيرة ثعبان، **كارثة ايتزر التي سكت عنها الجميع**، جريدة الأحداث المغربية، العدد ٣٦٥٦، الاثنين ١٦ فبراير ٢٠٠٩، ص. ١٩.

(39) Etude relative à la stratégie d'intervention et les opportunités d'investissement dans le secteur de l'habitat dans le centre de : Itzer, op.cit, p. p. 27-28.